مواضع ورود المطر في الشعر الجاهلي

د. أنور أبو سويلم ★
جامعة مؤتة

Abstract

This paper discusses the appearance of rain in various contexts in Pre-Islamic Poetry, defines the relation between rain and other microcosmic creations, and veils the conceptions of the Pre-Islamic society (Jahiliyeen) for the idea of rain. This conception demonstrates that the Pre-Islamic (Jahili) Poet understood the different particles of the creation and his preception for the creations was unique, organized and integrated. In this paper, there is a connection between the Pre-Islamic Poetry and the Pre-Islamic mythological beliefs which are involved in this poetry and remained a live heritage in the society.

ملخص

يناقش هذا البحث المطر في مواضع وروده المتعددة في الشعر الجاهلي و يحدد العلاقات بين المطر وموجودات الكون الأخرى، و يكشف عن تصور الجاهليين لفكرة المطر، وهو تصور يدل على أن الشاعر الجاهلي قد استوعب جزيئات الوجود المتناثرة، وأن وعيه بالموجودات جاء منظماً متكاملا.

وقد ربطت الشعر الجاهلي بالمعتقدات الجاهلية الأسطورية التي صدرت عنها تلك الأشعار و بقيت تراثاً حياً في ضمير الأمة.

نظر بعض الدارسين إلى موضوعات الشعر الجاهلي نظرة تجزيئية ، تجعل من الشعر الجاهلي وحدات منفصلة غير متّصلة ؛ فقالوا بوصف الناقة ، و وصف الفرس ، والفخر ، والهجاء ، والحماسة ، والرثاء...

تحس من خلال ذلك أنَّ الشاعر الجاهلي مختلّ التفكير ضعيف الربط ، جزئي النظرة ،

★ استاذ مساعد ، دائرة العلوم الانسانية ، دكتوراه أدب جاهلي من جامعة القاهرة ، عام ١٩٨٠ .

لا ينظر إلى الكون بشمولية ولا يحسّ الحياة بوحدة وتكامل ؛ لأنّه بدوي بسيط ينظر إلى الحياة بانفصام تام ، والطبيعة أمامه وحدات منفصلة فيها الجبل والكثيب والمرعى والحيوان والسماء ، ومن ثَمَّ لم يتعمق أسرار الوجود ، وليس لديه من قوى الربط ما يستطيع بها أن ينظر إلى الكون بشمولية وكلية .

وعندما ينظرون إلى وصف المطر يشيرون إلى قصائد مشهورة لأوس بن حجر وامرىء القيس وخفاف بن ندبة ... وغيرهم ، جاء فيها ذكر المطر مباشراً ، ولَمْ يلحظوا أنَّ الشاعر الجاهلي كان يرى في الماء معاني الحياة المختلفة ، وأن هذه المعاني جاءت في شعره كله ما عدا شعر المطر المباشر ، وأنه كان أدقّ بصيرة وأنفذ فكراً ، وأرقى تصوّراً مما كانوا يتوهّمونه في البدوي الجاهل .

ومن هذه الزاوية دلفت إلى المطر في مواضع وروده المتعددة في الشعر الجاهلي ، وهي زاوية تبدو خارجية تشبه الزاوية التي يعتمدها المُصوِّر في لوحاته ، لكنها تكشف في النهاية عن تصوّر الجاهليين لفكرة المطر ، وهو تَصَوُّر ، كما سيبرهن هذا البحث ، يَدُلُّ على أنَّ الشاعر الجاهلي قد استوعب جزيئات الوجود المتناثرة ، واستخلص منها معاني كلية ، وأفكاراً موحَّدة تصهرها وتجعلها كياناً موحداً منسَّقاً منظَّماً ، وأن وعي الشاعر الجاهلي بالوجود لم يكن وعياً ضيّقاً محدوداً ، بل كان وعياً شاملاً متكاملاً غير محدود .

ورأيت أن الشعراء الجاهليين كانوا يصدرون في تصورهم للمطر ، عن فكرٍ متَّحد ورؤية متَّحدة وصور متشابهة إلى حدٍّ بعيد ، ووحدة الصُّور تَنْبع في أساسها من وحدة التصوُّر ، ووحدة التراث ، ووحدة العقيدة . ومن هذه الزاوية حاولت ربط الشعر الجاهلي بالمعتقد الجاهلي الذي كان سداه ولُحمته الأساطير. حقاً إنّ المرحلة التاريخية التي عاشها الجاهليون قبل الإسلام بقرن ونصف أو يزيد هي مرحلة واعية بعيدة عن التفكير الأسطوري المباشر ، وملتصقة التصاقاً قوياً برؤية الأسباب ونتائج هذه الأسباب ، ولولا ذلك لما استطاعوا أن يستوعبوا الفكر الإسلامي بعقلانيّته المضيئة ، وإنْ صَدَق هذا على النَّثْر فلا يمكن أن يصدق على الشعر ؛ لأنّ الشعر عميق الجُذُور يرتَدّ إلى أعماق الإنسانية في تُراثها وتقاليدها

وأساطيرها ، والشعر الجاهلي لم يكن كلّه نابعاً من الوعي المباشر للانسان الجاهلي ، لأنّه تراث موغل في القِدَم ، يَرْتَدُّ إلى رواسب مظلمة في أعماق الإنسان ، والممارسات الأسطورية ، والتفكير الشعري بمنطق أُسطوري بقي تراثاً حياً في ضمير الامّة ، وقد نجد رواسب من ذلك التفكير الأُسطوري في الشعر الإسلامي في عصوره المتتابعة ، وإنْ كان يصدر ــ غالباً ــ عن قِيَمٍ بلاغية أكثر من صدوره عن قيم أُسطورية .

ومن هنا استَقْبلتُ شخصيةَ الشعر الجاهلي دون تلعثم أو اضطراب لأنّي أحسُّ قوةً ميتافيزيقية تسيطر على هذا الشعر وتتحكم في صياغة عباراته ، وأُومن أنّ الشعراء الجاهليين ــ جميعاً ــ يَنْهلون من نبع ذلك التراث المجهول المليء بالسحر والخُرافة والأساطير.

وقد أفدت إفادةً عظيمة من دراسات رشيدة للمطر ، ولولاها لم أستطع أن أُكوّن هذا التصوُّر لمواضع المطر في الشعر الجاهلي ، كدراسة الدكتور سيد نوفل عن (الطبيعة في الشعر الجاهلي) ، ودراسة الدكتور نوري حمودي القيسي عن (الطبيعة في الشعر الجاهلي) ، ودراسة الدكتور إبراهيم عبد الرحمن عن (الشعر الجاهلي ، قضاياه الفنية والموضوعية) ودراسة الدكتور أحمد كمال زكي عن التشكيل الخرافي في شعرنا القديم ضمن كتابه (دراسات في النقد الأدبي) وعن (التفسير الأُسطوري للشعر القديم) مقالة في مجلة فصول ، ابريل ١٩٨١ ، ودراسة الدكتور علي البطل عن (الصورة الفنية في الشعر حتى آخر القرن الثاني الهجري) ودراسة الدكتور نصرت عبد الرحمن (الصورة الفنية في الشعر الجاهلي) و «الواقع والأسطورة في شعر أبي ذؤيب الهذلي الجاهلي» و بحثين ممتازين له نشرهما في مجلة دراسات بعنوان «المطر، مواضع وروده في جانب من الشعر الجاهلي» و «سيدة المطر في شعر أبي ذؤيب الهذلي» ودراسة الدكتور مصطفى ناصف (قراءة ثانية لشعرنا القديم) .

و بعد ،،

فلا أقول عن هذا البحث إلاّ أنّه محاولة جديدة تكمل المحاولات السابقة لها ، فإن كنت قد أصبت فهذا أملي ، وإلاّ فحسبي نصيب المجتهد .

المطـــر والمـــرأة :

إنَّ «فكرة المطر» في الوقفة الطللية هي ما يشغل عقل الشاعر الجاهلي عندما يتذكر المحبوبة ... لأنَّ المرأة والمطر شيئان متَّصلان متَّحدان في ضميره . فقد كان الشاعر يبكي الطَّلل أو يبكي رحيل المرأة وانحباس المطر. لذلك كانت وقفة الشاعر الجاهلي أمام الطّلل وقفة تَأمُّل في سرّ المرأة الراحلة وفي سرّ المطر ومن أجل ذلك أيضاً بكى وشكى ، ووقف واستوقف ، ودعا ورجا ، ونَدَبَ وتَعَذَّب .

والمرأة الراحلة يدعون لديارها بالسُّقْيا ؛ لأن أطلالها التي انطمست واندثرت وماتت يريدون لها الحياة والرَّحمة والتَّطْهير والبَعْث . ويمكن أنْ يكون الدُّعاء بسقيا الأطلال والقبور بقايا تراث دينيّ قديم كان أصلاً طَقْساً سحرياً يُمَارس على عظام الموتى التي استخدمها العرب في استدعاء المطر(*) ، ومن ثَمَّ ارتبط نزول المطر بالأرض الخراب والمرأة الراحلة .

وتأتي في الشعر الجاهلي صور كثيرة تربط بين الثغر العَذْب وفكرة المطر، يتحول معها ثغر الحبيبة الباسم إلى نَبْعٍ للخير المطلق ومصدرٍ لماء الحياة ، نحسُّ من خلاله أنَّ الشاعر الجاهلي لم يكن يتغزَّل في المرأة وإنَّما كان يُعبّر عن رغبته في استقبال المطر.

المرأة تمنح المطر من ثغرها أو هي تمنح من مُقَبِّلها خِصْب الحياة ونَمَائها ، ورحيلُها يعني القَحْل والمَحْل ، والشاعر يريد هذا المطر، لذلك كان دائماً رُضَاب المرأة مطراً صافياً بارداً .

وكثيراً ما يمزج الشعراء رُضَاب المرأة بالخمر المُعَتَّق أو العسل المُصَفَّى ، أو بعبارة أخرى ، بالنشوة الروحيَّة ، ورحيق الحياة ، وهذا التلازم مُتَكَرِّرٌ في الشعر الجاهلي .

قال عبيد بن الأبرص : (١)

(*) انظر تفصيل ذلك في بحث : «الاستسقاء في الشعر الجاهلي» للمؤلف ، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات ، العدد الأول ، جامعة مؤتة ، ١٩٨٦ .

(١) عبيد بن الأبرص (ت ٦٠٠م) : الديوان ، تحقيق د. حسين نصار، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ١٩٥٧م ، ص ٢٩ــ٣٠ .

إذا ذُقْتُ فاها قلتُ: طَعْمُ مُدامَةٍ ... مُشَعْشَعَةٍ تُرْخي الإزار قَديحُ
بماءِ سحابٍ من أباريق فضّة ... لها ثَمَنٌ في البائعين ربيحُ

وقال امرؤ القيس: (٢)

كأنَّ المُدام وصوبَ الغمامِ ... وريحَ الخُزامى ونَشْرَ القُطُرْ
يُعَلُّ بهِ بَرْدُ أنيابها ... إذا طَرّب الطائرُ المُستَحِر

وقال بشر بن أبي خازم: (٣)

كأنَّ مُدامةً من أذْرُعَات ... كُمَيْتاً، لونُها لونُ الرُّعَافِ
على أنيابها بغريض مُزْنٍ ... أحالَتْهُ السَّحَابةُ في الرِّصافِ

وقال مالك بن حريم الهَمْداني: (٤)

كأنَّ جَنَى الكافور والمسك خَالِصاً ... وبَرْدُ النَّدَى والأقحوانَ المُنَزَّعَا
وَقَلْتاً قَرَتْ فيه السحابةُ ماءها ... بأنيابها، والفارسيّ المُشَعْشَعا

وقال حسان بن ثابت: (٥)

تَبَلَتْ فؤادك في المنامِ خريدةٌ ... تشفي الضجيعَ ببارِدٍ بَسَّامِ
كالمِسْكِ تخلطُهُ بماءِ سحابةٍ ... أو عاتقٍ كدمِ الذَّبيح مُدَامِ

= المشعشعة: المخلوطة بماء السحاب ـ القديح: أخذ منها بالقَدَح.

(٢) امرؤ القيس بن حجر الكندي (ت ٥٤٠م): الديوان، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة: دار المعارف بمصر ١٩٦٤م ص ١٥٧.
القُطُر: العود الذي يتبخر به، يعل به: يسقي به، وهو الشرب الثاني بعد النَّهَل المُسْتَحِر: المصوت بالسَّحَر.

(٣) بشر بن أبي خازم الأسدي (ت ٥٩٠م): الديوان، تحقيق: د. عزة حسن، طبعة دمشق ١٩٦٠م ص ١٤٣.
الرُّعاف: الدّم الذي يسبق من الأنف ـ الغريض: الطّري من اللّحم والماء واللّبن والتمر.
الرّصاف: جمع الرصف: وهو الماء الذي ينحدر من الجبال على الصخر فيصفو.

(٤) مالك بن حريم الهمداني: الأصمعيات، تحقيق: احمد شاكر، وعبد السلام هارون، دار المعارف بمصر ١٩٧٦م ص ٦٣، وشعر همدان وأخبارها: جمع د. حسن أبو يا سين، دار العلوم ـ الرياض ١٩٨٣م، ص ٢٩٣.
القَلْت: النُّقْرة في الصخر تمسك الماء، قَرَت: جَمَعَت.
الفارسيّ: الشراب الفارسي، المشعشع: الممزوج بالماء.

(٥) حسان بن ثابت الأنصاري (ت ٥٤هـ): الديوان، تحقيق: د. سيد حنفي، طبعة الهيئة المصرية العامة ١٩٧٤م، ص ١٠٧.

ويختار الشعراء لثَغْر المحبوبة العَذْب رائحة أزهار البادية التي رَشَّها النَّدى والرَّذَاذ الخفيف فتتضَوَّع لذلك شذىً وعطراً .

فثَغْر المحبوبَةِ سُقي بريح الخُزامى ونَشْر البَخُور (٦) وخالطه الكافور والمسك والأقحوان (٧) وكأنما شِيْبَ بالحَوْذان الذي رُشَّ بالمطر (٨) أو مُزِج بالأقحوان والحَنْوة والفَغْو، والخُزَامى كما يقول الحارث بن صريم الأصغر: (٩)

وما نَفْحُ روضٍ ذي أقاحٍ وحَنْوةٍ ... وذي وَرَقٍ من قُلَّةِ الحَزْنِ عازبِ
ولا ريحُ فَغْوٍ أو خُزَامى وحَنْوَةٍ ... أَرَشَّتْ عليها سارياتُ السَّحائبِ
بأطيبَ مِنْ فِيها إذا ما تقلَّبَتْ ... مع الليل وَسْنَى جانباً بعدَ جَانِبِ

وعندما يقرن الشعراء المرأة بالرَّوْضَة التي جادَ عليها المطر الهَطَّال يجعلون المرأة أطيب رائحةً وأذْكى عطراً وأنفح نَشْراً .

وقال عنترة بن شداد العبسي : (١٠)

وكأنَّ فأرَةَ تاجرٍ بقَسيمَةٍ ... سَبَقَتْ عوارِضَها إليكَ من الفَمِ
أو روضةً أُنفاً تَضَمَّنَ نَبْتَها ... غَيْثٌ قليلُ الدِّمْنِ لَيْسَ بمَعْلَمِ
جادتْ عليها كلُّ عَيْنٍ ثَرَّةٍ ... فتركْنَ كلَّ حديقةٍ كالدِّرْهَمِ
سَحّاً وتَسْكاباً فكلُّ عشيةٍ ... يجري عليها الماءُ لم يَتَصَرَّمِ

---

(٦) امرؤ القيس بن حجر: الديوان ، ص ١٥٧ .

(٧) مالك بن حريم الهمداني : الأصمعيات ، ص ٦٣ .

(٨) قيس بن الخطيم (ت ٦١٢م) : الديوان ، تحقيق : د. ناصر الدين الأسد ، دار صادر بيروت ١٩٦٢م . ص ٦٧ .

(٩) الحارث بن صريم الأصغر: شعر همدان وأخبارها ، تحقيق : د. حسن أبو ياسين طبعة دار العلوم ، الرياض ١٩٨٣م، ص ٢٤٨ .
الحَنْوة : نبات طيب الرائحة ، القُلَّة : أعلى الجبل ، الحَزْن : ما غلظ من الأرض ـ
العازب : الكلأ الذي لم يُرْعَ من قبل ، الفَغْو: نَوْر طيب الرائحة ـ الخُزامى : نبت طيب الرائحة أيضاً ، الوَسَن : أول النوم.

(١٠) عنترة بن شداد العبسي (ت ٦١٤م): الديوان ، تحقيق : محمد سعيد مولوي ، طبعة المكتب الاسلامي ، دمشق ١٩٧٠ ، ص ١٤٥ .
الفأرة : وعاء المسك ـ التاجر: العطار ـ القسيمة : الجونة أو العير التي تحمل المسك . العوارض : منابت الأضراس .
الأنُف : التي لم تُرْعَ ـ الدِّمن : قليل اللبث ـ المَعْلم : المشهور ـ الثَّرَّة : الكثيرة . لم يتصَرَّم : لم ينقطع ولم ينفد ـ الأجذم : المقطوع اليد .

وخلا الذُّبابُ بها فليس ببارحٍ غَرداً كفعل الشّارب المُتَرَنِّمِ
هَزِجاً يَحُكُّ ذِراعه بذراعِهِ قَدْحَ المُكِبِّ على الزِّناد الأَجْذَمِ

رُضاب المرأة العَذْب تَحَوَّل إلى غيثٍ جادَ على روضة نديَّةٍ طيبة النَّشْر، فتَحَوَّل قحلُ الطبيعةِ غنًى (كلّ حديقةٍ كالدّرهم) وشاركت الحشرات الإنسان في نَشْوته وطَرَبه فترنَّمت ثَمِلةً، وأَكَبَّت كما الانسان الذي يقدح النار من الزِّناد يستدعي بذلك المطر. واستخدام النار في طقوس الاستمطار مَذْهبٌ معروف في الفكر الميثوبي الجاهلي (١١). إنَّ ريق المرأة ثانوي في هذه الصّور المبتكرة، لأنَّ ريق المرأة يعني دفء الحياة واستمرارها، و يعني الاستقرار في المكان والارتباط بالوطن، وهو معادل للمطر الذي يُؤدّي انحباسه إلى الشَّتَات والهجرة والضياع والجوع وموت العاطفة.

و يستخدم شعراء الجاهلية رُضَاب المرأةِ مُعَادلاً موضوعياً لفكرة المطر التي يشتاقون إليها. و يستخدمون وصف الريق وسيلة للتعبير عن الرغبة في استقبال المطر بحيث تختفي المرأة و يبرز المطر، أو تتحول المرأة إلى سحابة ثَرّة سجمة منجبة للخصب والخير والصفاء..

قال الحادرة، قطبة بن أوس بن محصن: (١٢)

بَكَرَتْ سُمَيةُ بُكْرَةً فتمتَّعِ وغَدَتْ غُدوَّ مُفَارِق لم يَرْبُعِ
وتزوَّدَتْ عيني غَدَاةَ لقِيتُها بلِوى البُنَيْنَةِ نظرةً لم تُقْلِعِ

---

(١١) الميثوبي: صانع الأساطير، مشتق من الميثولوجيا. انظر بحثي المشار إليه سابقاً «الاستسقاء في الشعر الجاهلي».

(١٢) الحادرة، قطبة بن أوس بن محصن الغطفاني: الديوان: د. ناصر الدين الأسد، دار صادر، بيروت ١٩٧٣م ص ٤٦ ــ ٥٠ والمفضليات ص ٤٣ ــ ٤٥.
تصدَّفت: أعرضت وانحرفت ــ استبتك: صَيَّرَتْكَ سبياً لها ــ
الواضح: الناصع البياض يعني عنقها ــ الصَّلْت: المشرق الجميل ــ
الأتلع: الطويل العنق ــ وسنان: به سِنَةٌ وهي النعاس ــ
المُسْتَهَلّ: مجرى الدمع ــ الغريض: الطري من كل شيء ــ
السارية: السحابة تسري ليلاً ــ أَدَرَّتْهُ: استخرجته كما يستخرج الحالب اللَّبَن.
الماء الأسجر: الذي لم يصف تماما ــ البطاح: بطون الأودية ــ الحريصة: المطرة التي تحرص وجه الأرض أي: تقشره ــ
النطاف: المياه ــ الغَلَل: الماء يجري في أصول الشجر.

وتَصَدّفت حتى اسْتَبَتْكَ بواضحٍ صَلْتٍ كمُنْتَصِبِ الغزال الأَتْلَعِ
وبمقلتي حوراء تَحسِبُ طَرْفَها وسنانَ ، حُرَّة مُسْتَهلّ الأَدْمُعِ
واذا تنازعك الحديث رأيتَها حَسَناً تبسُّمُها لذيذَ المَكْرَعِ
بغريض ساريةٍ أَدَرَّتْهُ الصَّبَا من ماء أسجَرَ طَيِّبِ المُسْتَنْقَعِ
ظلمَ البطاحَ له انهلالُ حريصَةٍ فصَفَا النِّطَافُ له بُعَيْدَ المُقْلَعِ
لعب السيولُ به فأصبحَ ماؤُهُ غَلَلاً تَقَطَّعَ في أُصُول الخِرْوَعِ
أسُميَّ ويحك هل سمعتِ بغَدْرَةٍ رُفع اللواءُ لنا بها في مَجْمَعِ ...

ثغر المرأة نبعٌ لماء الحياة أو مصدرٌ للمطر، ويمكن أن نلحظ في المطر العُذْريَّة والبُكُورة والنَّقاء والطُّهر، وهي نفسها صفات سمية (الحُرَّة) أو قل: إن رحيل سميَّة يعني رحيل المطر، وقُرْبها يعني الخير والخصب ودفق ماء الحياة.

المطــر والضيفــان :

و يأتي وصف المطر في معرض الحديث عن قِرى الضِّيفان وطُرّاق الليل والعُفَاة الملهوفين والجياع المقرورين ممَّنْ قَذَفَتْ بهم الصَّحْراءُ في فمِ الموت.

ويختار الشعراء وُقتاً معيَّناً تجودُ فيه النفوسُ السَمْحَةُ بما تملكُ عندما تَشُحُّ الألبان و يُصَوِّحُ البَقْل و يعَم الجُدْب وتهب الريح العجفاء والصقيع الجاف أو عندما تَنِشُّ الغدران، و يتحسَّر ورق الطَّلْح.

و يضيق الشعراء الدائرة ويختارون وقتاً من أيام السَّنَة الشَهْباء وهي تلك الليلة الليلاء، ذات الريح العاصف والصقيع الحاصب التي تُلْجِىء الأشوال إلى كنيفها تلوذُ من سَفْع ريح الشَّمال. وقد يعرضون لمنظر الضَّيف الجائع المقرور أو طالب المعروف الملهوف الذي تَبُلُّهُ السماء فتزداد حالُه سوءاً.

و يتكرر في هذا الموضع الحديث عن: ريح الشمال الحَرْجَف، والثلج، ورشّ المطر، والصُّراد، والمُزْن والسحاب ذي الهيدب، والشَّفَّان، والرِّيح النكباء العاصفة، ونَوْ

المطر، والبَرَد، والرّياح الشآمية ذات البروق. وغالباً ما يكون المطر عقيماً عاصفاً صرصراً ... تَشُلُّه ريحُ الشمال الباردة وتقذِفُ معه البَرَد والثّلج والحَصْباء والسَّفْي... فتتحول الصحراء إلى جماد.

قال المثقب العبدي: (١٣)

وسار تَعَنَّاهُ المبيتُ فلمْ يَدَعْ ... له طامِسُ الظَّلْماءِ والليلُ مَذْهَبا
رأى ضَوْءَ نارٍ من بعيدٍ فَخَالَها ... لقد أكْذَبَتْهُ النفسُ، بل راء كَوْكَبا
رفعتُ له بالكفِّ ناراً تَشُبُّها ... شآمية نكباءُ أو عاصفٌ صَبَا
فلمّا أتاني والسماء تَبُلُّهُ ... فلقَّيْتُهُ أهلاً وسَهْلاً وَمَرْحَباً

وقال عنترة: (١٤)

إذا الرِّيحُ جاءَتْ بالجَهام تَشُلُّهُ ... هَذَا ليلُهُ مِثْلَ القِلاص الطَّرَائِدِ
وأعقب نوءُ المُدْبِرين بغُبْرَةٍ ... وقَطْرٍ قليلِ الماءِ باللَّيْلِ باردِ
يفي حاجة الأضيافِ حتى يُريحَهَا ... على الحَي منّا كلُّ أروعَ ماجدِ

وقال طرفة بن العبد: (١٥)

إنّا إذا ما الغيمُ أمْسَى كأنّه ... سماحيقُ ثَرْبٍ وَهْيَ حمراءُ حَرْجَفُ
وجاءت بُصَّرادٍ كأنَّ صقيعهُ ... خِلال البيوتِ والمَبَارِكِ كُرْسُفُ

---

(١٣) المثقب العبدي، عائذ بن محصن (ت ٥٨٧م) الديوان تحقيق: حسن كامل الصيرفي، طبعة الشركة المصرية للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٧١، ص ١١٧ الساري: السائر عامة الليل، تعنّاه: تجشمه وأنصبه وأعياه.

(١٤) عنترة بن شداد العبسي (ت ٦١٤م): الديوان (سبق ذكره) ص ٣٣٤.
الجَهام: السحاب لا ماء فيه، تشله: تسوقه ــ الهذاليل: القطع المتفرقة ــ
القِلاص: الابل الشابّة، الطرائد: ما يطرد من الابل عند الغارة.

(١٥) طرفة بن العبد، عمرو بن عبد البكري الديوان، تحقيق: درية الخطيب ولطفي الصقال، مطبوعات: مجمع اللغة العربية، دمشق ١٩٧٥، ص ١٣٠.
السماحيق: شحم رقيق على ثَرْب الشاة ــ الثّرْب: الشحم الذي يغطي الأمعاء ــ
حَرْجَف: شديدة ــ الكرسف: القطن ــ قريع الشول: فحل الإبل اللواقح ــ المتحرف:
البعيد ــ العِشَار المُتْقِيات: النوق الحوامل السّمان ــ الشظية: عظم الساق.

وجاء قَرِيعُ الشَّوْلِ يرقُصُ قَبْلَها ... إلى الدِّفءِ والراعي لها مُتَحَرِّفُ
نَرُدُّ العِشَارَ المُنْقِيات شَظِيُّها ... إلى الحيِّ حتى يَمْرَعَ المُتَصَيِّفُ

وقال المسيب بن علس : (١٦)

وإذا تهيجُ الرِّيحُ من صُرَّادها ... ثَلْجاً ينيخُ النِّيْبَ بالجَعْجَاعِ
أحْلَلْتَ بيتَكَ بالجميع و بعضهم ... متفَرِّقٌ ليحُلَّ بالأوزاعِ

وقال سنان بن أبي حارثة المُرّي : (١٧)

وقد يَسَرْتُ إذا ما الشَّوْلُ رَوَّحَها ... بَرْدُ العَشِيِّ بشَفَّانٍ وصُرَّادِ
ثُمَّتَ أطعمتُ زادي غير مُدَّخِرٍ ... أهل المَحَلَّةِ من جارٍ ومن جادِ

وقال عمرو بن شأس الأسدي : (١٨)

إذا الشَّوْل راحت وهي حُدْبٌ حَدَابِرٌ ... وهبَّتْ شمالاً حَرْجَفاً تحفرُ الفحلا
رأيتَ ذوي الحاجاتِ يَتَّبِعُونَنَا ... نُهين لهم في الحُجْرَة المالَ والرَّسَلا

وقال أيضاً : (١٩)

وإنّي لأُعطي غَثَّها وسَمِينَها ... وأسري إذا ما الليلُ ذو الظُّلْمَةِ ادْلَهَم
إذا الثَّلْجُ أضحى في الديار كأنّه ... مناثرُ ملحٍ في السُّهول وفي الأكَمْ
حذاراً على ما كان قَدَّمَ والدي ... إذا رَوَّحَتْهم حَرْجَفٌ تطرُدُ الصِّرَمْ

---

(١٦) المسيب بن علس ، زهير بن مالك : المفضليات ، تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون دار المعارف بمصر ١٩٥٢م ، ص ٦٢ .
الصراد : ريح باردة برَش مطر ــ النيب : النوق المسان ــ
الجعجاع : موضع البروك ــ الأوزاع : المتفرقون .

(١٧) سنان بن أبي حارثة المري : المفضليات ، ص ٣٥٠ .
يسرت : كنت أحد الأيسار وهم المتقامرون ــ الشول : الإبل التي شالت ألبانها ، أي : ارتفعت وجفّت بعد الإلقاح ــ الشّفان والصُّراد : ريح باردة ــ الجادي : المجتدي الذي يطلب الجِدة أي العطية .

(١٨) عمرو بن شأس الأسدي : شعره ، جمع وتحقيق : يحيى الجبوري ، طبعة النجف الأشرف ١٩٧٦م ، ص ٤٦ .

(١٩) المصدر السابق ، ص ٦٨ .
مناثر : جمع منثر وهو مكان الانتثار ــ الصِّرْمة : القطعة من الابل .

المطـر والجيش :

وترتبط صورة المطر بصورة الجيش الذي يهتز و يَتَحَوَّل إلى سيول جارفة تغمر الوديان والسفوح . والخيول في المعركة تنطلق كَعَارِض متفجرٍ أو كَسَحَابٍ دَفَعَهُ الرِّيح فانْدَفَعَ يسحقُ كلَّ شيء أمامه. أمَّا السيوف فتتهاوى في عتمة المعركة كالبَرَد المنثور، أو كالمطر المنسكب ، لكنّها لا تمطر الخير والرَّحمة بل تمطر العذاب والنِقْمة والدم الأَحمر.

ودائماً نرى وجه الحَرْب العبوس في الشعر الجاهلي ناقةٌ لقحت الأسِنَّة والرِّماح وحملت العداوة والبَغْضاء ، وولدت الشُّؤْم والموت ودَرَّت درًّا كريهاً : دم الجريمة .

وقد سَمُّو الجيش الكثيف عارضاً وسحاباً ، قال سلامة بن جندل : (٢٠)

مَوْقِفُنا في غَيْر دارِ تَثِيَّةٍ ومُلْحَقُنا بالعَارِضِ المُتَأَلِّقِ (٢١)

وقال جَسَّاس بن نشبة التَيْمي : (٢٢)

فلما دَنَوا صُلْنَا فَفَرَّقَ جمعَهُم سحابَتُنا تَنْدَى أَسِرَّتُها دَمَا (٢٣)

وهذه التسمية من قبيل التفاؤل بالجيش فهو سحاب يمطر الموت الأحمر على الأعداء ويمطر الخير والرحمة والمغنم على فرسانه .

وصورة المطر من حيث هو مادة للحياة ومادة للموت ظاهرة في الحديث عن الجيش ؛ فالجيش مطر رحمة وهو أيضاً مطر نِقْمة .

قال المخبل السعدي : (٢٤)

وإنّا أناسٌ تعرفُ الخيلُ زَجْرَنا إذا أمطرتْ سُحْبُ الصَّوارم بالدَّمِ

---

(٢٠) سلامة بن جندل التميمي : الديوان ، تحقيق : فخر الدين قباوة ، طبعة حلب ١٩٦٩ ص ١٦٣ .

(٢١) تثية : مكث وتلبُّث ـ متألق : يبرق و يضيء ـ العارض : الجيش شُبِّهَ بالعارض من السحاب الذي يُظِل السماء .

(٢٢) جساس بن نشبة التيمي : ديوان الحماسة لأبي تمام ، تعليق : محمد عبد المنعم خفاجي ، طبعة القاهرة ٩٥٥ . م ج ١ ص ١٢٦ .

(٢٣) سحابتنا : جيشنا الذي يشبه السحابة ـ تندى : ترشح ـ الأَسِرَّة : الأوساط والطرائق ، يعني بطون الأودية .

(٢٤) المخبل السعدي : شعر بني تميم في العصر الجاهلي ، تحقيق عبد الحميد المعيني ، طبعة نادي القصيم الأدبي ١٩٨٢م ، ص ١٢٥ .

وقال الحارث بن صريم الأصغر: (٢٥)

وكـنّـا إذا مـا استمطر الناسُ رَعْدَنا   رَعَـدْنَـا فـأمطرنـا مُـثـقَّـفَـةً سُـمْـرا
نـجود بـهـا في كـلّ يـوم كـريـهـةٍ   لأعـدائـنـا حـتـى يُـدِيـنـوا لـنا قَسْرا

وقال هلال بن رزين: (٢٦)

وأيـقـنـت الـقـبـائـل مـن جَـنَـاب   وعـامـر أنْ سـيـمـنَـعـهـا نـصـيـرُ
أجـادت وَبْـلَ مُـدْجِـنَـةٍ فـدَرَّت   عــلــيــهــم صَـوْبَ درور
فـولّـوا تحـت قِـطْـقِـطِـهـا سِـراعـاً   تـكـبُّـهُـمُ الـمُـهَـنَّـدَةُ الـذُّكـور(٢٧)

وأستخدام المطر في موضع النِقْمَة والعَذاب والشر والهلاك والموت كثيرٌ في الشعر الجاهلي، على نحو ما جاء في القرآن الكريم (٢٨).

و يتكرر في الشعر الجاهلي تشبيه المحاربين بالسيول التي جاشت وطَمت وأغرقت وسحقت وأهلكت، أو بالمطر المنصب الذي يقلع كلّ شيء، أو السحاب الذي يطمّ و يعمّ و يشمل الأعداء بالموت الزؤام.

قال عنترة بن شداد:

- إذا مـا مشوا في السَّابغات حسبْتَهُم   سيولاً وقد جاشت بهنَّ الأ باطحُ (٢٩)
- فـجـاءوا عَـارِضـاً بَـرَداً وجـئْـنَـا   حـريـقـاً في غريفٍ ذي ضرام (٣٠)
- سلي فـزارة عـن فعلي وقـد نَـفَـرَتْ   في جحفلٍ حافلٍ كالعارض الهَطِلِ (٣١)

(٢٥) الحارث بن صريم الأصغر: شعر همدان وأخبارها، تحقيق د. حسن أبوياسين، دار العلوم الرياض ١٩٨٣م، ص ٢٤٧.
(٢٦) هلال بن رزين: ديوان الحماسه (سبق ذكره) ج١ ص ١٢٦.
(٢٧) أجادت: أرسلت، أي أتت سحابة الجيش بمطر_ الوَبْل: المطر الشديد القَطْر_ المُدْجنة: المظلمة_ الصَّوْب: نزول المطر_ السارية: السحابة التي تأتي ليلاً_ الدرور: الكثيرة الدّر_ القِطْقِط: صغار البَرَد_ تكبُّهم: تصرعهم_ المُهَنَّدَة: السيوف.
(٢٨) انظر القرآن الكريم، الأعراف، آية ٨٤ وهود، آية ٨٢، والشعراء، آية ١٧٣، والأنفال، آية ٣٢ والفرقان، آية ٤٠.
(٢٩) عنترة بن شداد العبسي (ت ٦١٤م): الديوان، تحقيق: عبد المنعم شلبي طبعة: المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة (دون تاريخ) ص ٤٣.
(٣٠) المصدر السابق، ص ١٥٨.
(٣١) المصدر السابق، ص ١٣٢.

وقال بشر بن أبي خازم : (٣٢)

فلمّا رأونا بالنّسار كأنّنا نَشَاصُ الثُّريا هَيَّجَتْهَا جنوبُها ...

وقال الجميح الأسدي : (٣٣)

لَجِبٍ إذا ابتدروا قنابلَهُ كنشاص يوم المِرْزَم السَّجِمِ

وقال قيس بن الخطيم : (٣٤)

جاءتْ بنو الأَوْسِ عارضاً بَرِداً تَحْلُبُهُ الريحُ مُقْبلاً حَلَبَا
أرْعَنَ مثل الأَتيّ أعقَبَهُ صَر ملثٍ يُسَيِّل الحَدَبَا

وقد يأتي التعبير في الشعر الجاهلي عن الموت بالماء، قال أوس بن حجر : (٣٥)

صَبَحْنَ بني عَبْسٍ وأفْنَاءَ عامرٍ بصَادِقَةٍ جَوْدٍ من الماءِ والدَّمِ

وقد نرى وَجْهاً للشَّبَه بين الجيش الجَحْفل الذي يسيل من الآكام على السفوح والوديان بالمطر المنصبّ أو بالسيل العاتي الذي يتدافع تدافعاً هائلاً رهيباً ... لكنَّ الشعراء لم يقصدوا هذه المشابهة الشكلية، ولا تمثيل الحركة في الزحف والتدافع فقد كانوا أصدق حِسًّا وأقدر على تجسيم روح الماء ... فالماء عنصر أساسي من عناصر الحياة، وعَدَّهُ الإنسان القديم أقوى من التُّراب والهواء والنار، والماء فيه القوة والتّدْمير.. وهذا المعنى أراده الشعراء للجيش والمحاربين، ولا معنى لكثرة الجيش وتدافعه إذا لم يكمن فيه قوة الماء وتدميره.

---

(٣٢) بشر بن أبي خازم الأسدي (ت ٥٩٠م) : الديوان (سبق ذكره) ص ١٦.

(٣٣) الجميح الأسدي، منقذ بن الطماح بن قيس الأسدي : المفضليات ص ٣٦٧.
اللّجب : ذو الأصوات لكثرته ــ القنابل : جماعة الفرسان ــ النّشاص : ما ارتفع من السحاب.
المِرْزم : نجم له نوء ــ السَّجِم : السائل.

(٣٤) قيس بن الخطيم : الديوان، تحقيق : د. ناصر الدين الأسد، دار صادر، بيروت ١٩٦٢م، ص ١٧٦.
البَرِد : الذي فيه بَرَد، أي جاء أولهم خفيفاً كسحاب فيه بَرَد.
الأرعن : الجيش يُشَبَّهُ برعن الجبل وهو أنفه ــ الأتِيّ : سيل يأتيك من غير أن يصيبك مطره ــ صَوْب مُلِثّ : مطر دائم.

(٣٥) أوس بن حجر التميمي : الديوان، تحقيق : محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت ١٩٦٧م، ص ١١٩.

المطـــر والناقـــة :

تَعَلَّق الإنسان الجاهلي بشيئين مهمَّيْن في حياته : المطر والإبل ؛ لأن طبيعة الحياة الرعويَّة تفرضُ عليه تقديرهما ، ولأنَّ الصحراء الظامئة لا يطفيء عطشها إلا المطر ، والحناجر الجافة لا ترتوي إلا بِدَرِّ الناقة .. ولأنَّ الإبل تشتاق للمطر وتفرح به ، ولأنَّ رحلات الصحراء والهجرات المتوالية كانت ـــ في أغلبها ـــ بَحْثاً عن الماء والمرعى .

وقد صَوَّرَ الشعر الجاهلي شَوْق الإبل للمطر وفرحها به ، فهي لذلك تَشِيمُ البرق وتتعرفُ على مسقط الغيث وتنزع اليه :

قال عمرو بن قميئة : (٣٦)

نَـوَازِعُ لِلـخَـالِ إذْ شِـمْـنَـهُ ... على الفُرُدات يحُلُّ السِّجَالا (٣٧)

وقال الطفيل الغنوي : (٣٨)

ظعائن أبْرَقْنَ الخريف وشِمْنَهُ ... وخِفْنَ الهُمَام أن تُقادَ قَنَابِلُه (٣٩)

وقال خفاق بن ندبة : (٤٠)

فيَمَّمْنَ اليَمَامةَ مُعْرِقَاتٍ ... وشِمْنَ بروض عالجة الغَمَاما .

وقد جمعت اللغة العربية بين المطر والابل فسموا ماء السماء دَرًّا ، (٤١) وأطلقوا على الرياح التي تُلْقِح الغيث اسم : الحراجيج والنائجات والرَّامسات ، وهذه التسميات يطلقونها على الابل وجاءت في شعرهم كثيراً . (٤٢)

---

(٣٦) عمرو بن قميئة ، أبو كعب (جاهلي قديم) : الديوان ، تحقيق : حسن كامل الصيرفي مطابع : دار الكتاب العربي ، مصر ١٩٦٥م ، ص ١٦٧ .

(٣٧) الخال : الغيم والسحاب الذي يُظَنُّ فيه المطر ، شِمْنَه : نظرن إليه لتحقيق أين يكون مطره ، الفردات : موضع ـــ السِّجال : الدلاء الضخمة المملوءة وأراد بها هنا : المطر.

(٣٨) الطفيل الغنوي : الديوان ، تحقيق : محمد عبد القادر أحمد ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ١٩٦٧م ، ص ٨٣ .

(٣٩) الخريف : أول ما يجيء من المطرـــ الهُمَام : الملك ـــ القنابل : جماعات الخيل .

(٤٠) خفاف بن ندبة السلمي : شعره ، حققه : نوري القيسي ، مطبعة المعارف ، بغداد ١٩٦٨م ص ٩٥ .

(٤١) أنور أبو سويلم : الإبل في الشعر الجاهلي : دار العلوم الرياض ١٩٨٣ ، ج ١ ص ٢٦١ .

(٤٢) المصدر السابق ج ٢ مادة (حرج) و (نأج) و (رمس) .

وجعلوا للسحب بَرْكاً وصدراً كصَدْرِ الجمل ، قال امرؤ القيس : (٤٣)

وألقى ببسيان مع الليل بَرْكَهُ فأنزل منه العُصْمَ من كلِّ مَنْزِلِ

و يتكرَّر في الشعر الجاهلي تشبيه السُحُب بجماعات النوق ، وأصواتها بالرَّعْد المزمجر ، وكثيراً ما يبرز الشعراء في أكوام الغيم المُتَلَبِّد أصوات النوق العِشَار الحوامل التي تحنُّ إلى أولادها ، أو بالنوق المُصَفَّحَات اللاتي عُزلن عن أولادهن فيندبن و يشتكين بتَرْجيعٍ موجعٍ ، وحنين مُؤلم ، أو تلك الخلايا (النوق التي عطفت على ولد غيرها لتدّر) التي ماتت أولادها فأصابتها آلآم الثُكْل فأخذت تدعو بصوت شَجِيٍ وتنتحبُ بحنينٍ مُحْزِنٍ .

قال عبيد بن الأ برص : (٤٤)

كأنَّ فيه عِشَاراً جِلَّةً شُرُفاً شُعْثاً لَهَامِيم قد هَمَّتْ بإرشَاحِ
بُحّاً حناجرُها هُدْلاً مَشَافِرُها تُسيم أولادها في قَرْقَرٍ ضَاحي (٤٥)

وقال أبو ذؤيب الهذلي : (٤٦)

أمِنْكِ بَرْقٌ أبيتُ الليلَ أرقُبُهُ كأنَّهُ في عِراض الشَّأمِ مصباحُ
يَجُشُّ رَعْداً كَهَدْرِ الفَحْلِ تتبعُهُ أُدْمٌ تَعَطَّفُ حَوْلَ الفَحْل ضَحْضَاحُ
فهنَّ صُعْرٌ إلى هَدْرِ الفنيق ولم يَجْفُر ولم يُسْلِهِ عنهنَّ إلقاحُ (٤٧)

وقال خفاف بن ندبة : (٤٨)

كأنَّ الحُدَاة والمشاريعَ وَسْطَهُ وعوذاً مطافيلاً بأَمْعَزَ مُشْرِقِ

(٤٣) امرؤ القيس بن حجر الكندي (ت ٥٤٠م) الديوان تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ـ دار المعارف بمصر ١٩٦٤م ، ص ٢٤ .

(٤٤) عبيد بن الأ برص (ت ٦٠٠م) الديوان ، تحقيق د. حسين نصار ، مطبعة البابي الحلبي القاهرة ١٩٥٧م ص ٣٤ وما بعدها ، والقصيدة تنسب لأ وس بن حجر: الديوان ص ١٣ ـ ١٧ .

(٤٥) العشار: النوق الحوامل ـ الجلّة المسان ، الشُرُف : المسان أيضاً .
الشعث : المتلبدة الشعر ـ اللهاميم : الغزار ـ أرشاح : من أرشحت الناقة اذا اشتد فصيلُها وقوي لأنها تحنّ في هذا الوقت .

(٤٦) أبو ذؤيب الهذلي (ت ٢٨هـ) شرح اشعار الهذليين تحقيق : عبد الستار فراج ، القاهرة ١٩٣٧م ج ١ ص ١٦٧ .

(٤٧) يجش : يستخرج ـ ضحضاح : كثير واصله قليل واراد جماعة الإبل ـ صعر : ميل ، لم يجفر: لم تذهب غلمته .

(٤٨) خفاف بن ندبة السلمي: الأصمعيات ص ٢٥ .

وقال لبيد بن ربيعة : (٤٩)

كـأنَّ مُـصَـفَّـحـاتٍ في ذُرَاه ... وأنـواحـاً عـلـيـهـنَّ المآلي
.. وحَطَّ وحوشَ صاحةَ من ذُراها ... كـأنَّ وعـولها رُمْك الـجِـمـال

وقال حسان بن ثابت : (٥٠)

طوى أبرق العَزَّاف يُرْعِدُ مَتْنُهُ ... حنين المَتالي نحو صَوْتِ المُشَايع

ومن الجانب الآخر نراهم يُشَبِّهون جماعات الإبل بأكوام الغَيْم ، وسُرْعتها وهي منطلقة بسرعة السَّحاب الخفيف أو السحاب الذي أطاع الريح ، وأصواتها بهزيم المطر المُنْثَال :

قال امرؤ القيس : (٥١)

تـروحُ إذا راحَـتْ رواح جَـهَامةٍ ... بـإثـر جَـهَـامٍ رائـحٍ مُـتَـفَـرِّق

وقال الأخنس بن شهاب التغلبي : (٥٢)

تَطَايَرُ عن أعجاز حُوش كأنَّها ... جَـهَـامٌ أرَاقَ مـاءَه فـهـو آئـبُ

وقال الطفيل الغنوي : (٥٣)

إذا وردتْ مـاءً بـلَـيْـلٍ كـأنَّـها ... سَحَابٌ أطَاعَ الرّيحَ من كُلّ مَخْرِم

وقال المخبّل السعدي : (٥٤)

لها لَجَبٌ حول الحياض كأنَّهُ ... تَـجَاوبُ أَغْـيـاثٍ لهنَّ هَـزِيمُ

(٤٩) لبيد بن ربيعة العامري (ت ٥٤٠م) الديوان ، تحقيق : د. احسان عباس ، طبعة وزارة الإرشاد والأنباء ، الكويت ١٩٦٢م ، ص ٨٨ وما بعدها .

(٥٠) حسان بن ثابت الأنصاري (ت ٥٤ هـ) الديوان ، تحقيق : سيد حنفي ، طبعة الهيئة المصرية العامة ١٩٧٤م ص ٢٧٨ المتالي : النوق ومعها أولادها ـ المشايع الراعي والصوت : الشياع .

(٥١) امرؤ القيس بن حجر الكندي (ت ٥٤١) : الديوان ص ١٧٠ .

(٥٢) الأخنس بن شهاب التغلبي (جاهلي قديم) : المفضليات ، ص ٢٠٥ .

(٥٣) الطفيل الغنوي : الديوان (سبق ذكره) ص ٧٨ .

(٥٤) المخبل السعدي التميمي : شعر بني تميم في العصر الجاهلي ، تحقيق : عبد الحميد المعيني ، منشورات نادي القصيم الأدبي ١٩٨٢م ، ص ١٢٤ .

وجاءت السحب في أكثر من موضع في الشعر الجاهلي بصورة النوق العِشَار، أو النوق المتالي، أو النوق الحِيال التي تُلْقِحُها رياحُ الغَيْث، والرياح هي التي تحلب دِرَّة الناقة (السماء) كما يحلب الأجير نوقه؛ يَبُسُّ لها، و يَمُسُّها بِرِفْق، و يُصْدِرُ أصواتاً رقيقةً حتى تدرَّ عروقُ ضروعها بالمطر العَذْب النقي.

قال امرؤ القيس: (٥٥)

فلما تَدَلَّى من أعالي طَميَّةٍ ... أَبَسَّتْ به ريح الصَّبَا فَتَحَلَّبَا

وقال أيضا: (٥٦)

راح تُمْرِيْهِ الصَّبَا ثم انتحى ... فيه شؤبوبُ جنوبٍ مُنْفَجِر

وقال خفاف بن ندبة: (٥٧)

إذا ما مَرَتْهُ ريحٌ يمانيةٌ ... يردُّ ريعانَهُ إلى نَضَد

وقال طرفة بن العبد: (٥٨)

مرته الجنوبُ ثم هبّت له الصَبَا ... إذا مَسّ منها مسكناً عُدْمُلاً نَزَلْ

كأنَّ الخلايا فيه ضَلَّتْ رِبَاعُها ... وعُوذاً إذا ما هَزَّهُ رعدُه احتفلْ

وقال الطفيل الغنوي: (٥٩)

أَبَسَّتْ به ريحُ الجنوب فأسعدتْ ... روايا له بالماء لَمَّا تَصَرَّم

وقال سحيم عبد بني الحسحاس: (٦٠)

---

(٥٥) امرؤ القيس بن حجر الكندي: الديوان، ص ٣٤٠.

(٥٦) المصدر السابق، ص ١٤٥.

(٥٧) خفاف بن ندبة السلمي: شعره، تحقيق: نوري القيسي، مطبعة المعارف، بغداد ١٩٦٨م.

(٥٨) طرفة بن العبد البكري: الديوان، تحقيق: درية الخطيب، ولطفي الصقال، مطبوعات: مجمع اللغة العربية، دمشق ١٩٧٥م، ص ١١٣.

(٥٩) الطفيل الغنوي: الديوان، ص ٧٥.

(٦٠) سحيم عبد بني الحسحاس الأسدي: الديوان، تحقيق: عبد العزيز الميمني، طبعة دار الكتب المصرية ١٩٦٨م، ص ٤٦ وما بعدها.

مــرتْــهُ الـصَّـبَـا وانـتـحـتْـهُ الجنـو　　بُ تَـطْـحُـرعـنـه جَـهَـامـاً خِـفَـافـا
يــكُــبُّ الـعِـضَـاه لأذْقـانـهــا　　كَـكَـبِّ الـفـنـيـق اللِّـقـاح العِجَافَا

وقال لبيد بن ربيعة : (٦١)

مَرَت الجنـوبُ لـه الـغـمـام بوابلٍ　　ومُـجَـلْـجِـلٍ قَـرِدِ الـرَّبـاب مُـديـم

وقال أبو دؤاد الإيادي : (٦٢)

وغـيـثٍ تَـوَسَّـن مـنـه الـرِّيـا　　حُ جـونـاً عِـشَـاراً وعُـونـاً ثـقـالا
إذا كَـرْكَـرتْـهُ ريـاح الجـنـو　　ب ألـقَـحْـنَ مـنـه عـجـافـاً جِـيَـالا
وإنْ راحَ يـنـهـضُ نَـهْـضَ الـكـسـيـ　　ـر جَـأْجَـأهُ المـاءُ حـتـى أسَـالا

فالسحب هنا ليست بُخاراً متكاثفاً ــ كما يقول علماء الطبيعة ــ إنما هي نوق عِشَار ونوق حِيال تُلْقحها رياح الصَّبا أو رياح الجنوب في الغالب .

أيمكن أن يكون العرب قد تصوروا السماء ناقة حقيقية لا مجازاً ، والمطر من درّها ؟ هذا ما أرجّحُهُ ؛ فقد سمّوا السماء (الجرباء) وهي التي أصابها العُرّ لكثرة النجوم فيها تشبيهاً بالجَرَب في بَدَن البعير، وسمّوا الناقة (علياء) والعلياء من أسماء السماء (٦٣) وقد عرفت الميثولوجيا القديمة مثل هذا التصور، فقد مَثّل الفراعنة السماء امرأةً منحنيةً فوق الأرض يَتَحَلَّبُ المطرُ من ثَدْيَيْها ، وتصوّروا السماء بقرة هائلةً ولدت الشمس ، فكان لها ضرع كبير يحلب مطراً . (٦٤)

(٦١) لبيد بن ربيعة العامري : الديوان ، ص ١١١ .
(٦٢) أبو دؤاد الإيادي : الديوان ، ضمن كتاب : دراسات في الأدب العربي تحقيق : غوستاف فون غرنباوم ، ترجمة : إحسان عباس وآخرين مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٥٩م ، ص ٣٣١ .
(٦٣) أنور أبو سويلم : الإبل في الشعر الجاهلي ، ج ١ ص ٢٦٣ .
(٦٤) فرانكفورت (هـ) وآخرين : ما قبل الفلسفة ، ترجمة جبرا ابراهيم جبرا ، طبعة مكتبة الحياة ، بغداد ١٩٦٠م ، ص ٣١ و ص ٦١ . وانظر تفصيلات أخرى لهذا الموضوع في كتابي : الإبل في الشعر الجاهلي ، الجزء الأول ، ص ٢٦٣ وما بعدها ، طبعة دار العلوم ، الرياض ، ١٩٨٣م .

المطــر والفــرس :

فكرة المطر وفكرة الفرس متماثلتان في ذهن الشاعر الجاهلي تماثلاً غريباً ؛ فالفرس مُسِحّ وسابح ودرير، وجهد الفرس يرتبط دائماً بالوابل المُتَحَلِّب أو بشُؤْبوب الغيث أو شؤبوب العشي ، والبرق اللامع يلمع و يغمض كخيلٍ بُلْق تَكَشَّفُ عنها أجلالها ، وغالباً ما تأتي صورة الخيل المُسْتَرْسِلة بصورة السيل العاتي أو المطر المنصبّ الذي يتلقّاه الإنسان بخوف وتَهَيُّب . وقد عَبَّر مجمّع بن هلال (من تيم الله بن ثعلبة) عن هذه الفكرة بتركيز شديد فقال : (٦٥)

وخيل كأسراب القَطا قَدْ وَزَعْتُها   لها سَبَلٌ فيه المَنِيَّةُ تَلْمَعُ

(السَّبَل : المطر)

فالخيل كأسراب القَطا الذي يريد الماءَ، والعرب يضربون بهداية القطا ؛ لأنه يهتدي في المجاهل و يعرف الماء .. لذلك كانت الخيل لها سَبَلٌ .

وقد نرى في هذه الصورة معاني التَّتابع والاسترسال والتحفُّز والانطلاق والانثيال والهجوم والمباغتة والاندفاع .. لكن هذه المعاني كلّها لا يمكن أن تلغي من أذهاننا فكرة المطر التي تشتمل عليها صورة الخيل .

وقد عَقَرَ العربُ الخيل على قبور الموتى من الأشراف والأسياد وكانوا يُلَطِّخُون القبور بدمائها ، والعلماء مختلفون في الباعث على العقر، قالوا : إنما كانوا يفعلون ذلك مكافأة للميت على ما كان يعقره في حياته إكراماً لضيفانه (٦٦) وقال آخرون : إنما كانوا يفعلون ذلك إعظاماً للميت كما كانوا يذبحون للأصنام ، وقيل : إنّ الخيل أنفس أموالهم ، فكأنَّهم يريدون بذلك أنَّها قد هانت عليهم لعِظَم المُصيبة . (٦٧)

---

(٦٥) مجمع بن هلال : ديوان الحماسة لأبي تمام ، تعليق : محمد عبد المنعم خفاجي ، القاهرة ١٩٥٥م ج١ ص٢٩٧ .

(٦٦) الخالديان ، أبو بكر محمد (ت ٣٨٠هـ) وأبو عثمان سعيد (ت ٣٩٠هـ) : الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين ، حققه السيد محمد يوسف ــ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٨ ــ ١٩٦٥م ، ج٢ ص ٣٥٧ .

(٦٧) أحمد الحوفي : الحياة العربية من الشعر الجاهلي ، دار نهضة مصر بالفجالة ١٩٧٢م ، ص ٤٩٢ .

واستمرَّت طقوس العَقْر على القبور حتى عصور متأخرة ، فقد عقر الفرزدق على قبر بشر بن مروان والي العراق لأخيه عبد الملك [٦٨] ودعا للعقر زياد الأعجم وهو يرثي المغيرة بن المهلب ، قال : [٦٩]

فـإذا مَـرَرْتَ بـقـبـره فاعـقرْ بـه كُـوم الـهِجَان وكـلَّ طِرْفٍ سـابح
وانْـضَـحْ جـوانـبَ قـبـره بـدمـائـهـا فـلـقـد يـكـونُ أخَـا دَمٍ وذَبَـائـح

ولا أعتقد أنَّ نحر الخيل على القبر وتبليه بالدم عادة يراد بها إظهار تقدير أهل الميت أو تمثيل كرم الراحل بعد وفاته ، بل لا بد أن يكون هذا النَّحر له علاقة ما بالاستمطار فعظام الموتى استخدمها العرب في طقوس الاستسقاء ، [٧٠] والفرس لها علاقة ما بالمطر: ذكر القزو يني أنَّ بعض الصينيين يجتمعون في سني القحط و يلقون فرساً في غدير عندهم والناس يقفون على أطرافه كلما أراد الفرس الخروج من الماء منعوه ، وما دامت الفرس في الماء يأتيهم المطر ، فإذا مُطروا قدر كفايتهم ، وامتلأ الغدير ، أخرجوا الفرس وذبحوه على قُلَّة الجبل ، وتركوه حتى تأكله الطير ، فإنْ لم يفعلوا ذلك في شيء من السنين لم يُمْطروا [٧١] .

فلا عجب ــ إذنْ ــ أن ترتبط صورة الفرس بصورة دُفُعات المطر التي تنثال في عتمة الليل فهي لذلك أشد عنفاً وأكثر برودةً ودائماً ينثال مطر الفرس (عشيةً) بما يوحي بالمباغته والمداهمة غير المتوقَّعة فهو لذلك يُسَبِّب القلق والتوتُّر والتأزُّم ؛ لذلك يتكرر في وصف الفرس العبارات التالية : شؤبوب العشي ، غيث العشي ....

الشؤبوب ذي البَرَد ، شؤبوب غيث ... قال امرؤ القيس : [٧٢]

(٦٨) محمد نعمان الجارم : أديان العرب في الجاهلية ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٩٢٣م ص ٩٨ .

(٦٩) الخالدين : الأشباه والنظائر ج ٢ ص ٣٥٧ .

(٧٠) ابن قتيبة الدينوري : كتاب المعارف ، تحقيق : ثروت عكاشة ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٩م ص ٤٣٣ .

(٧١) القزو يني ، زكريا بن محمد : آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ، بيروت ١٩٦٠م ص ٥٤ . وانظر بحثي المشار اليه سابقاً : الاستسقاء في الشعر الجاهلي .

(٧٢) امرؤ القيس بن حجر الكندي : الديوان (سبق ذكره) ص ٥٠ ــ الجَعْد : الشديد النداوة ــ الشؤبوب : دفعه المطر ــ خفاهن : أظهرهن واستخرجهن ــ الأنفاق : أسراب تحت الأرض ــ الوَدْق : المطر ، المُجَلِّب : الذي له جَلَبَة .

وولّى كشُؤْبوب العَشِيّ بوابلٍ ويخرجْنَ من جَعْدٍ ثَرَاه مُنْصَبّ
خفاهُنَّ من أنفاقهنَّ كأنما خَفاهنَّ وَدْقٌ من عَشِيّ مُجَلِّب

وقال أيضاً : (٧٣)

وأدْرَكهنَّ ثانياً من عِنَانه كغَيْثِ العَشِيّ الأَقْهَبِ المتودِّق

وقال النابغة : (٧٤)

والخيلُ تَمْزَعُ غَرْباً في أعِنَّتها كالطَّيْر تنجو من الشُّؤْبوب ذي البَرَد

وقال علقمة الفحل : (٧٥)

فأَتْبَع آثار الشياهِ وليدُنا حثيثٍ كغيث الرَّائح المُتَحَلِّب
خفى الفأرُ من أنفاقه فكأنَّما تَخَلَّله شؤبوبُ غَيْثٍ مُنَقِّب

وقال زهير بن أبي سلمى : (٧٦)

فأتبعَ آثارَ الشياه وليدُنَا كشُؤْبوب غَيْثٍ يَحْفِشُ الأَكْمَ وابلُه

وقال الطفيل الغنوي : (٧٧)

كأنَّ رِعال الخيلِ لما تَبَدَّدَتْ بوادي جَرادِ الهَبْوَة المُتَصَوِّب
وهَضْنَ الحصى حتى كأنَّ رُضَاضَهُ ذُرى بَرَدٍ من وابلٍ مُتَحَلِّب

وقال طرفة بن العبد : (٧٨)

---

(٧٣) المصدر السابق، ص ١٧٤ .

(٧٤) النابغة الذبياني : الديوان، تحقيق، محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف بمصر ١٩٧٧م، ص ٢٣ .

(٧٥) علقمة الفحل : الديوان، تحقيق : لطفي الصقال ودرية الخطيب، دار الكتاب العربي حلب ـ ١٩٦٩م ص ٩٤ .

(٧٦) زهير بن أبي سلمى : الديوان، تقديم : أحمد زكي العدوي، دار الكتاب المصرية ١٩٤٤م ص ١٣٥ .

(٧٧) الطفيل الغنوي : الديوان تحقيق : محمد عبد القادر أحمد، دار الكتاب الجديد بيروت، ١٩٦٨م، ص ٢٥ ـ ٢٦ .

(٧٨) طرفه بن العبد : الديوان، تحقيق : درية الخطيب، ولطفي الصقال مطبوعات مجمع اللغة العربية دمشق ١٩٧٥م، ص ١٧١ .
الرفع : المبالغه في السير ـ زول : نهوض ـ لجب : كثير الصوت، تثعب : تتدفق في سيرها ـ القرقر : أرض مطمئنة لينة .

مـرفـوعُـهـا زولٌ ومـوضـوعُـهـا   كَـمَـرِّ غَيْثٍ لَجِبٍ وَسْطَ ريحْ
تـشـعـب بـالفـارسِ ثَعْباً كـمـا   يَـثْعَبُ بـالقـرقـر مـاء النَّضِيـحْ

وقال لبيد بن ربيعة : (٧٩)

طوته المنـايا فوق جـرداء شَطْبَةٍ   تَدِفُّ دفيـف الرائـح المُتَمَطِّرِ

وقال خفاف بن ندبة : (٨٠)

أصاح تـرى البـرقَ لـم يَغْتَمِضْ   إذا زَعْـزَعَـتْـهُ الجنوبُ استَطَارا
كـأَنَّ تَـكَـشُّـفَـهُ بـالـنَّشَاص   بُـلْـقٌ تَـكَـشَّفُ تَحْمـي مِهَارا

وقد نرى في أرْسَال الخيل المتتابعة أثناء الغارة شَبَهاً بأرسال المطر المتدافع لكن الشعراء لا يريدون التتابع والتدافع والمباغته والهجوم فقط إنما يريدون ما في المطر من معاني النِقْمة والعذاب وهذه المعاني تتمثَّل في ذلك السيل العاتي الذي يُمَثِّل الشعراء به اندفاع الفرس وانحطاطها ، كقول امرىء القيس (٨١)

مِـكَـرٍّ مِـفَـرٍّ مُقْبِل مُدْبِرٍ معاً   كجُلْمودِ صَخْرٍ حَطَّه السيلُ من عَلِ
كـميـت يـزلُّ اللِّبْد عن حال مَتْنِه   كـمـا زَلَّت الصَّفْواء بـالمُتَنَزَّلِ

* * *

(٧٩) لبيد بن ربيعة : الديوان ، تحقيق : د. إحسان عباس ، مطبعة وزارة الاشاد والأنباء الكويت ٢٩٦٢م ص ٤٩ .

(٨٠) خفاف بن ندبة السلمي : شعره ، تحقيق : نورى القيسي ، مطبعة المعارف بغداد ١٩٦٨م ص ٧٨ وما بعدها .

(٨١) امرؤ القيس بن حجر الكندي : الديوان (سبق ذكره) ص ٢٢ وما بعدها .

المطر وحمار الوحش :

مشكلة المطر أهم المشكلات التي يعرض لها الشاعر الجاهلي في قصة حمار الوحش وأتنه وتبدأ القصة بوصف حمار الوحش المكتنز شحماً ولحماً وهو يراعي أتنه في روضة مُعْشبة قد انهلّ عليها المطر فأينعت وأزهرت ... يتودد لهذه الأُتُن و يتعشَّقهن ، و يَنْعم بحياة أُسريَّة ناعمة مطمئنة ، لكنَّ طِيْب العيش لا يدوم ... والمشكلة تَبْدأ عندما يتوقَّف نزول المطر و يَقِلّ النَّدى و يُصَوِّح البقل وتَنِش الغدران وتهبّ رياح السّموم الحارة .. من هنا تبرز المشكلة الأساسية في قصة حمار الوحش : مشكلة الماء أو مشكلة المطر .

تأتي الأتن إلى الحمار الحكيم يستشرنه في أمرهن ، فيبيت ساهراً تُؤَرِّقُهُ الهموم ، ثم تُسْعِفُهُ الذاكرة و يدفعه الظَّمأ إلى اتخاذ القرار الصَّعْب ... الهجرة إلى مساقط الغيث وعيون الماء ، فيعزم أمره ، و يأمر الأتن بالهجرة ، يسوقهن و يستحثّهن بالعضّ والكَدْم و يصدق حسّه إذْ يستدعيه صوت الماء العَذْب البارد ، فتعوم الأتن في شريعة الماء تروي غُلَّتها وتطفىء عطشها الملتهب ، لكن الصياد الجائع يتحفَّز ثم يقذفها بسهم طائشة تطير فوق ظهورها ، فتنطلق الحمر مذعورة فزعة تنشد السلامة ، و يعضُّ الصياد أنامله ندماً يلوم حظَّه العاثر و يتذكّر زوجه اللَّجوج وأولاده المُسْغَبين .. وهكذا تبقى الحمر في الصحراء العربية ظَمْأى ، و يبقى الصياد وأهله جوعى .

وسأُمثِّل لهذه القصَّة بقول ربيعة بن مقروم : (٨٢)

كأنّي أوشِّحُ أنْساعَها ... أَقَبَّ من الحُقْب جَأباً شَتِيْمَا
يُحَلِّىءُ مثلَ القَنا ذُبَّلاً ... ثلاثاً عن الورْد قد كُنَّ هِيما

(٨٢) ربيعة بن مقروم . المفضليات ص ١٨١ وما بعدها . أُوَشِّح أشد ــ الحُقُب : التي بطونها بياض ــ الجَأب : الغليظ ، الشتيم : الكريه الوجه ــ يُحَلِّىء : يمنع من الماء ــ ذُبَّلاً : ضوامر ــ هيماً : عطشى ــ القف ــ الأرض الصلبة ، التناهي : أرض تحجز الماء ــ هرّ : كره ــ صوادي : عطشى ، خزر : ضيقة العيون ــ تغيما : ان تعطش ــ الوحف : ما غزر من النبات واسود ، يريد الليل ــ جوزه : وسطه ــ الزّرّ : العَضّ ، الشَلّ : الطَّرْد ــ العَذْم : العَضّ ــ تطحر : تدفع ، الجميم : ما اجتمع على الماء من قذى ــ الطوامي : الكثيرة الماء .

رَعَاهُنَّ بالقُفّ حتى ذَوَتْ ... بُقُولُ التَّنَاهي وهَرَّ السَّمُوما
فظلَّتْ صوادي خُزْرِ العُيُون ... إلى الشَّمْس من رَهْبَةٍ أنْ تَغِيما
فلمَّا تَبَيَّنَ أنَّ النَّهَارَ ... تَوَلَّى وآنس وَحْفاً بَهِيما
رَمَى الليلَ مُسْتَعْرِضاً جَوْزَهُ ... بهنَّ مِزَرّاً مِشَلاً عَذُوما
فأوردها مع ضَوْءِ الصَّبَاح ... شرائعَ تَطْحَرُ عنها الجَمِيما
طواميَ خُضْراً كلون السَّمَاء ... يزينُ الدَّراريُّ فيها النُّجُوما
وبالماء قَيْسٌ أبو عامرٍ ... يُؤَمِّلُها ساعةً أنْ تَصُوما

ويمكن أنْ نُلَخِّص العناصر الأساسية الثابتة في قصة حمار الوحش بالنقاط التالية :

(أ) رعي الحمار وأُتنه في الرياض المُعْشبة التي هي من نتاج المطر .

(ب) جفاف الغدران ، وهجوم الجَدْب والمَحْل ، وهبوب رياح السموم والحَرّ اللافح ... والاحساس بالظمأ والعطش .

(جـ) مشكلة الماء هي أساس القضية في قصة حمار الوحش .. فالحمر عطشى لم ترد الماء ولم تَهْتَدِ إلى موضعه ... وهي مضطرة للهجرة بحثاً عنه .

(د) رحلات الحُمُر الوحشية تنتهي غالباً بورود الماء الذي يجمع حوله الأعداء ، ومن أجله تنشب الحروب و يتم الصراع مع الجوعى والطامعين .

(هـ) الماء في قصة حمار الوحش أهم عناصر هذه القصَّة وهو مُحَرِّك الأحداث فيها .. فالهجرة كانت حول الماء .. والصراع كان عند الماء أو من أجله ، وكأنما الماء هو الأمل المنشود والغاية القصوى في حكاية حمار الوحش .

ودائما يكون المَشْرع العَذْب هو الهدف الذي تسعى اليه الحُمُر المُهاجرة أو الشاعر الظامىء .

قال امرؤ القيس : (٨٣)

ـ فأورَدَها من آخر اللَّيْل مَشْرَباً — بلاثقَ خُضْراً ماؤُهنَّ قَليصُ
ـ جَأبٌ أضرَّ به التعداء صيفته — حتى دَعَثهُ عيونٌ ماؤُها شعب

وقال أوس بن حجر : (٨٤)

تَذَكَّر عَيْناً من غُمازةَ ماؤُها — له حَبَبٌ تَسْتَنُّ فيه الزَّخارفُ
له ثَأدٌ يَهْتَزُّ جَعْدٌ كأنَّه — مُخالطُ أرجاء العُيون القراطِفُ

وقال زهير بن أبي سلمى : (٨٥)

عَزَم الورود فآب عَذْباً بارداً — من فوق شدّ يسيل وألهب

وقال لبيد بن ربيعة : (٨٦)

فتَضَيَّفَا ماءً بدَحْل ساكناً — يَسْتَنُّ فوق سَرَاته العُلْجُوم

وقال أبو ذؤيب الهذلي : (٨٧)

فَشَرَعْنَ في حَجَرات عذب باردٍ — حَصِب البطاح تَغيبُ فيه الأكرُعُ
فشربن ثم سمِعْنَ حِسّاً دونه — شرفُ الحجاب وريب قَرْعٍ يقْرَعُ

وقال الأعشى : (٨٨)

فأوردها عَيْناً من السِّيفِ ريّه — بها برأ مثل الفسيل المُكَمَّمِ

وقال متمم بن نويرة : (٨٩)

(٨٣) امرؤ القيس بن حجر الكندي : الديوان (سبق ذكره) ص ١٨٠ و ٣٠٤.
(٨٤) أوس بن حجر : الديوان (سبق ذكره) ص ٦٧ .
(٨٥) زهير بن أبي سلمى : الديوان (سبق ذكره) ص ٣٧١ .
(٨٦) لبيد بن ربيعة : الديوان (سبق ذكره) ص ٣٧١ .
(٨٧) أبو ذؤيب الهذلي : المفضليات ، ص ٤٢٣ .
(٨٨) الأعشى : الديوان (سبق ذكره) ص ١٢١ .
(٨٩) متمم بن نويرة . المفضليات ، ص ٥٠ .

حتـى إذا وَرَدا عيـونـاً فَوْقَـهـا غـابٌ طـوالٌ نـابـتٌ ومُـصَـرَّعُ
لاقـى على جنب الـشريعة لاطِئاً صـفـوانَ في نـامـوسـه يَـتَطَلَّعُ

ومن هنـا يتبين لنـا أن قصة حمار الوحش لا يمكن فهمها بمعزل عن فكرة المطر الذي انهلَّ فأنبت الرياض المُعْشبة التي رعتها الحُمُر ناعمة البال ، ثم أدّى توقف نزول المطر الى الجفاف والقَحْط فكانت الهجرات في الصحراء العريضة بحثاً عن مورد آمن ، وما أكثر هذه الموارد في الصحراء العربية ، ودائماً تنتهي رحلة الحُمُر بالوصول إلى شريعة الماء التي لا يتحقق عندها الأمن والسلام فتُؤْثِر الحُمُر السلامة ، وتبتعد عن المواجهة والصراع وستبقى تبحث عن المورد الآمن أو عن الماء الصافي في كل مكان في الجزيرة العربية .

المطـــر والظليم :

للمطر أهمية بالغة في قصة الظليم والنعامة التي تكرر ذكرها في الشعر الجاهلي فالتَّنُّوم والآء والحَنْظل وما يَنْعَم به النَّعام من نبات الصحراء كل ذلك من نتاج المطر، والمطر يثير الفزع والهَلَع في قلب الظليم فيهيج هلعاً وفزعاً فيهرب من العاصفة والريح والغيم المتكاثف والرَّذَاذ وهو يفعلُ ذلك ليحفظَ البيض من المطر الذي يفسده و يضُرُّ به ، أو ليبني حياة آمنة وليـنجبَ الذُّرِّيَة ويحفظ النَّوْع من الهلاك ، وما إنْ يصل الظليم والنعامة إلى العش حتى تسرع النعامة فتجثم عليه ناشرةً جناحيها الغزيرين لتحمي البيض من المطر ولتبعث فيه دفء الحياة ، ودائماً نرى الظليم يعالج الظُّلْمة و يعاني الريح والمطر، قال زهير بن أبي سلمى : (٩٠)

هَلْ تُبْلِغَنِّي إلى الأَخْيارِ نَاجِيةٌ تَخْدِي كَوَخْدِ ظَليمٍ خَاضِبٍ زَعِرِ
في يوم دَجْنٍ يوالي الشَّدَّ في عَجَلٍ إلى لوى حَضَنٍ من خيفةِ المَطَرِ

(٩٠) زهير بن أبي سلمى : الديوان (سبق ذكره) ص ٣١٦ .

وقال علقمة الفحل : (٩١)

حتى تَذَكَّرَ بيضاتٍ وهَيَّجَهُ يومُ رَذَاذٍ عليه الريحُ مَغْيومُ

وقال لبيد بن ربيعة : (٩٢)

تنجو نَجَاء ظليمِ الجَوّ أفْزَعَهُ ريحُ الشَّمَال وشَفَّانٌ لَهَا دِرَرُ

وعندما يصف الشعراء أكوام الغيم المتكاثف يُشَبِّهونها بالنعام المُعَلَّق من أرجله ، وهذه الصورة تبرز بوضوح تأثير المطر في النعام فهو شَرٌّ مستطير ونقْمة كبرى ، يؤدّي إلى هلاك النعام وتعليقه من أرجله ؛ لذلك كان الشعراء يرسمون دائماً فَزَعَ الظليم من المطر وخوفه وهربه وشَدِّهِ وهلعه .

قال سلامة بن جندل : (٩٣)

ومَجَرِّ سارِيةٍ تَجُرُّ ذُيُولَها نَوْسَ النَّعَام تُنَاط بالأعْنَاق

وقال خفاف بن ندبة : (٩٤)

فدع ذا ولكن هل ترى ضَوْءَ بَارِقٍ يُضيءُ حَبِّياً في ذُرى مُتَألِّقِ
يجُرُّ بأكناف البِحار الى المَلاَ رَبَاباً له مثل النَّعَام المُعَلَّقِ
إذا قلت تَزْهَاهُ الرياح دَنَا له رَبَابٌ له مثل النَّعَام المُوَسَّقِ

وقال الأعشى : (٩٥)

بل هل ترى بَرْقاً على ال جَبَلَيْن يُعْجبني انجيابُهْ
من ساقط الأكْنَاف ذي زَجَلٍ أرَبَّ به سَحَابُهْ
مثل النَّعام مُعَلَّقاً لَمَّا دنا قَرِداً رَبَابُهْ

(٩١) علقمة الفحل : الديوان ، ص ٥٩ .
(٩٢) لبيد بن ربيعه : الديوان ، ص ٦٨ .
(٩٣) سلامة بن جندل : الديوان ، ص ١٣٦ .
(٩٤) خفاف بن ندبة : الأصمعيات ص ٢٥ — ٢٦ .
(٩٥) الأعشى : الديوان ، ص ٣٢٥ .

المطر والأوابد الأخرى :

و يأتي ذكر المطر في وصف العُقَاب والقَطَا والضَبّ والذئب .

والعُقَاب شديدة الوحشيَّة تعتصم في ذُرى الجبال الشاهقة ، وتقترب من النَّدَى والطَّلّ والغيم وقد شُهرت بوقفتها الشامخة على قمم الآكام وهي تنفض الضَّريب والنَّدى عن ريشها المتكاثف استعداداً للانقضاض على الفريسة . قال الأجدع الهمداني : (٩٦)

إذا قيل يوماً يا صباحاً رأيتَهَا　　　كعِقْبان يوم الدَّجْن أَلْثَقَهَا القَطْرُ

وقال سلمة بن الخرشب الأنماري : (٩٧)

خُداريةٍ فَتْخَاء أَلْثَقَ ريشها　　　سحابةُ يومٍ ذي أهاضيبَ ماطِر

وقال الحارث بن وعلة : (٩٨)

نجوتُ نجاءً لم يَرَ الناس مثلَهُ　　　كأنّي عُقَابٌ عند تَيْمَنَ كاسِرُ
خُداريةٌ سَفْعاء لَبَّدَ رِيشَها　　　من الطَّلّ يومٌ ذو أهاضيبَ مَاطِرُ

وقال عبيد بن الابرص : (٩٩)

كأنَّها لِقْوةٌ طلوبُ　　　تَجِنُّ في وَكْرِها القُلُوبُ
باتَتْ على إِرَمٍ رابئةً　　　كأنَّها شَيْخةٌ رَقُوبُ
فأصبحتْ في غَدَاةِ قِرَّةٍ　　　يسقُطُ عن ريشها الضَّريبُ
فأبصرت ثعلباً من ساعةٍ　　　ودونه سَبْسَبٌ جديبُ
فنفضتْ ريشَها وانتَفَضَتْ　　　وَهْيَ من نهضة قريبُ

(٩٦) الأجدع الهمداني : شعر همدان وأخبارها (سبق ذكره) ص ٢٢٤ .

(٩٧) سلمه بن الخرشب الأنماري : المفضليات ، ص ٣٧ .

(٩٨) الحارث بن وعلة : المفضليات ، ص ١٦٥ .

(٩٩) عبيد بن الأبرص : الديوان ، ص ١٨ . اللّقوة : العُقَاب ــ الطَّلوب : المُلِحَّة في الطَّلَب ، تَجِنّ : تتغير رائحتها ــ إِرَم : جبل صغير ــ رابئة :ـ تأبى الأكل والشرب ــ
الرقوب : التي لا يعيش لها ولد ــ قِرَّة : برد ــ الضَّريب : الصقيع .

وتأتي صورة المطر متَّصلة بالحديث عن موارد الماء في الصحراء الطَّامسة الصُّوى حيث لا دليل على الماء سوى القَطَا الهادي الذي ضُرب به المثل في الهداية ؛ (١٠٠) لأنَّه يهتدي في المجاهل و يعرف مواضع الماء .

والحديث عن القَطَا يأتي في معرض قياس سرعة الفرس والناقة ويجعل الشعراء القطا ظامئاً في يوم حرور، لذلك فهو يُصَبِّحُ الشريعة مسرعاً متهاو ياً :

قال عبيد بن الأ برص في صفة الخيل : (١٠١)

القائد الخيل تَرْدي في أعِنَّتِها ... وِرْد القَطَا هَجَّرتْ ظمأً إلى الثَّمَدِ

وقال أيضاً : (١٠٢)

ثم عجناهُنَّ خُوصاً كالقَطَا الـ ... قَارِب الماء من أيْن الكَلال

أمَّا الإبل الناجية السريعة فهي كأسراب القَطَا التي هاجها العطش فانطلقت تتهاوى نحو شريعة الماء فجراً .

- وكُنَّ كأسراب القَطَا هاج وِرْدَها ... مع الصُّبْح في يوم الحَرور رَميضُ (١٠٣)
- تهالَكُ منهن النَّجاء تَهالُكاً ... تَقَاذفُ إحدى الجُون حان ورودها (١٠٤)
- يَدَّرِعْنَ الليل يهوين بِنَا ... كهويّ الكُدْرِ صَبَّحْن الشَّرَع (١٠٥)
- كأنَّها وقد بدا عوارضُ ... بجَلْهَةَ الوادي قطاً نَواهض (١٠٦)

(١٠٠) الجاحظ، عمرو بن بحر: الحيوان، تحقيق: عبد السلام هارون، مطبعة البابي الحلبي القاهرة (دون تاريخ) ج ٥ ص ٥٧٣ .
(١٠١) عبيد بن الأ برص: الديوان، ص ٥٩ .
(١٠٢) المصدر السابق: ص ١١٧ .
(١٠٣) المصدر السابق: ص ٨١ .
(١٠٤) النابغة الذبياني: الديوان ص ٩٨ .
(١٠٥) سويد بن أبي كاهل اليشكري: الديوان، تحقيق: شاكر العاشور، دار الطباعة الحديثة، البصرة ١٩٧٢م، ص ٢٧ .
(١٠٦) الشماخ بن ضرار الذبياني: الديوان، تحقيق: صلاح الدين الهادي، دار المعارف بمصر، ١٩٧٧م ص ٥٠٤ .

و يتحدث الشعراء عن فِعْل المطر والسيل في جُحْر الضَبّ الكَيِّس الذي يَتَّخذ جُحْره في كُدْية (الموضع الصلب) مرتفعة، و يصفون جدّ الضَبّ وهمَّته ومهارته في تلافي المطر والسيل، لذلك كانت براثنه ناقصة كليلة؛ لكنّ سيول الصحراء شديدة العنف تُغْرق الضَبَّ ووِجَاره، ولا تنفعه خِفَّتُه ومهارته قال امرؤ القيس: (١٠٧)

ديمة هَطْلاء فيها وَطَف طبقُ الأرض تَحَرَّى وتَدِرّ
... وترى الضبَّ خفيفاً ماهراً ثانياً برثُنَهُ ما يَنْعَفِرْ

وقال طرفة بن العبد: (١٠٨)

وضِبابٍ سفر الماءُ بها غَرقَتْ أوْلاجُهَا غَيْرَ السُّدَدْ
فَهْيَ موتى لعب الماءُ بها في غُثاءٍ سَاقَهُ السَّيْلُ عُدَدْ

وغالباً ما يُذْكر الذئب والمطر معاً، وكُلَّما وصفوا خيولهم بالذئاب، جعلوا النَّدى قد بَلَّها، والمطر أَحْرَجها والصقيع قد حَفَزَها على التوحُّش والاندفاع والتهوُّر، كقول الطفيل الغنوي (١٠٩):

كأنَّه بَعْدَما صدَّرْنَ من عَرَقٍ سِيْدٌ تَمَطَّرَ جُنْحَ الليل مَبْلُولُ

وقال الحصين بن الحمام المُرّي: (١١٠)

وأَجْرَدَ كالسِّرحان يَضْرِبُهُ النَّدى ومَحْبوكَةٍ كالسِّيد شَقَّاءَ صِلْدِمَا

(١٠٧) امرؤ القيس بن حجر الكندي: الديوان (سبق ذكره) ص ١٤٤.
(١٠٨) طرفة بن العبد البكري: الديوان: ص ٢٨.
(١٠٩) الطفيل الغنوي: الديوان ٦٣.
(١١٠) الحصين بن الحمام المُرّي: المفضليات، ص ٦٦.

موضع المطر الأساسي :

وفي هذا الموضع يُغنى الشعراء بملاحظة البرق ومراقبة الغيم ، و يتتبعون تَحَرُّكَ الرياح و يستطلعون الغيوم المتكاثفة ، والسُّحُب الجَهَام ، و يبتهلون و يأرقون و يَسْهَدون ، و يتلهَّفون و يشتاقون ، فإذا الانبثاق العظيم يَنْهَلّ ، وإذا الكون طوفانٌ غامرٌ و بحرٌ متلاطم ... و يتلَقّى الشعراء المطر المنثور من رحم السماء بحُبّ ووَجْد فيتابعون انهلاله على السفوح والبِقاع ، ويحسُّون الفَوْز والظَّفَر عندما تغمرُ الأمطار البِقاع جميعاً ، و يُغْنى الشعراء بتتبع الأماكن التي صابها مَطَرُ السَّماء وما خَلَّفه من آثار كالسيول العاتية والوديان الهادرة التي تحطُّ الوعول من ذُراها ، والسِّباع من آجامها ، والضِّباب من أنفاقها و يصفون ما يتركه المطر من نشوة في قلب الإنسان والحيوان والطير وما ينشر على الصحراء العقيم من برود مُنَمْنَمة ووَشْي عبقريّ من النَّوْر والزَّهر والنبات ... وكثيراً ما يَبُثُّ الشعراء آمالهم وأشواقهم ورغباتهم في تلقي المطر، و يذكرون انطباعاتهم أمام مشاهد الخير والرحمة ، وقد يدعون لأحبابهم بالسُّقْيا في ختام وصف المطر وسأُمَثّل لذلك بقصيدتين ، الأولى : قصيدة امرىء القيس المشهورة ، قال فيها (١١١) :

أَحَارِ تَرَى بَرْقاً كأنَّ وميضَهُ ... كَلَمْعِ اليدين في حَبِيٍّ مُكَلَّلِ
يُضِيءُ سَنَاهُ أو مصابيحَ راهِبٍ ... أَهَانَ السَّليطَ في الذُّبال المُفَتَّلِ
قَعَدْتُ له وصُحْبَتي بين حامرٍ ... وبين إكامٍ بُعْدَ ما مُتَأَمَّلِ
وأَضْحى يَسُحُّ الماء عن كلِّ فِيقَةٍ ... يَكُبُّ على الأذْقانِ دَوْحَ الكَنَهْبَلِ
وتَيْماء لم يتركْ بها جِذْعَ نَخْلَةٍ ... ولا أُطماً إلاّ مَشِيداً بجَنْدَلِ
كأنَّ طمِيَّةَ المُجَيْمِرِ غُدْوَةً ... من السَّيْلِ والغُثَاء فَلْكَةُ مِغْزَلِ
كأنَّ أبَاناً في أفانين وَدْقِهِ ... كبيرُ أناسٍ في بجادٍ مُزَمَّلِ
وألقى بصحراء الغَبيط بَعَاعَهُ ... نزول اليمانيّ ذي العياب المُخَوَّلِ
كأن سباعاً فيه غَرْقى غُدَيَّةً ... بأَرْجَائِهِ القُصْوى أنابيش عُنْصُلِ

(١١١) امرؤ القيس بن حجر الكندي : الديوان ، ص ٢٤ وما بعدها .

على قَطَنٍ بالشَّيْم أيمنُ صَوْبِهِ وأيسرُهُ على السِّتار فَيَذْبُلِ
وألقى ببَسْيان مع الليل بَرْكَهُ فأنزل منه العُصْمَ من كُلِّ مَنْزِلِ (١١٢)

والقصيدة الثانية للبيد بن ربيعة العامري ، قال بعد وصف الطَّيف والرحلة والمرأة المهاجرة (١١٣) :

يا هل ترى البَرْقَ أرقُبُهُ يُزجي حبيًّا إذا ثَقَبَا
قعدتُ وَحْدي له ، وقال أبو ليلى : متى يَغْتَمِنْ فقَدْ دَأَبَا
كأنَّ فيه لمَّا ارتفقْتُ لَهُ رَيْطاً ومِرْبَاع غانمٍ لجِبَا
فَجَادَ رَهْواً إلى مداخلَ فالصَّحْـ رَةَ أمست نِعاجُهُ عُصَبَا
فحَدَّرَ العُصْم من عَمَاية للسَّهْـ لِ وقَضَّى بصاحَةَ الأَرَبَا
فالماءُ يجلو مُتُونهنَّ كَمَا يَجْلو التلاميذُ لؤلؤاً قَشِبَا
لاَقَى البَدِيُّ الكِلاَبَ فاعتلَجَا موجُ أَتِيَّيْهما لِمَنْ غَلَبَا
فَدَعْدَعَا سُرَّةَ الرَّكَاء كَمَا دَعْدَعَ أَتِيَّيْهما لِمَنْ غَلَبَا
فَدَعْدَعَا سُرَّةَ الرَّكَاء كَمَا دَعْدَعَ ساقي الأعاجم الغَرَبَا
فكلُّ وادٍ هدَّتْ حوالبُهُ يَقْذفُ خُضْر الدَّبَاء فالخُشُبا
مالت به نَحْوَها الجنوبُ معاً ثم ازدهتْهُ الشَّمالُ فانقَلَبَا
فقلتُ صابَ الأعراضَ رَيِّقُهُ يَسْقي بلاداً قد أَمْحَلَتْ حِقَبَا
لتَرْعَ من نبته أَسِيمُ إذا أنبتَ حُرَّ البُقُول والعُشُبَا
وليَرْعه قومها فإنَّهم منْ خيرِ حيٍّ علمتهُمْ حَسَبَا (١١٤)

---

(١١٢) الوميض : لمع البرق ــ الحَبِيّ : ما حبا من السحاب أي ما عرض لك وارتفع ــ
المُكَلَّل : الذي في جوانب السماء كالإكليل ــ السَّنَا : الضوء ــ السليط : الزيت ، حامر : موضع ــ الفَيْقة : ما بين الحلبتين ــ الكنهبل : ما عظم من شجر العضاه ــ طميّة : اسم جبل ــ المجيمر : أرض لبني فزارة ــ البجاد : كساء مُخَطَّط ــ الوَدْق : المطر ــ الأفانين : الضروب والأنواع ــ
الغبيط : موضع ــ البَعَاع : الثقل ــ ذو العياب المخول : الكثير المتاع والخدم ــ العُنْصل : نبت برّي يشبه البَصَل ــ قطن : اسم جبل ــ الشيم : النظر إلى البرق والمطر ليعلم أين هما ــ الستار و يذبل و بسيان : جبال معروفة ــ البَرْك : الصدر ــ العُصْم : الأوعال .

(١١٣) لبيد بن ربيعة العامري : الديوان ، ص ٢٩ ــ ٣٣ .

(١١٤) يُزْجي : يسوق ــ الحَبِيّ : السَّحاب المرتفع ــ ثقبَ : أضاء ــ يغْتَمِن : يسكن ــ دأبَ : أكثر من الماء ــ ارتفقت : اتكأت ــ
=

في ضوء النصين السابقين يمكن أن نلحظ العناصر التالية في وصف المطر :

(أ) مناجاة الرفيق ، والشكوى من الهَمّ والغَمّ ، والتعبير عن الأَرَق والسُّهاد والتَوَتُّر .

(ب) الشاعر الجاهلي هو الذي يتابع المطر و يتأمله و يقعد له ، و يراقبه ، أو هو الذي يُصَ ي و يبتهل من أجل نزوله .

(جـ) الحديث عن الرياح والسحاب والبَرْق والرَّعْد .. ووصف العاصفة واللَّيل البهيم .. ودائماً ينزل المطر طُوفاناً مُدمراً ، وسيولاً عارمة تقلع كل شيء ، وتَحُطُّ كلَّ شيء وتهلك كلَّ شيء .

(د) المطر يُسْتَنزل من السماء ولادةً بعد أنْ تُلْقح الريح السَّحاب ، وهي ولادة عسيرة تتم بعد النَّصَب والسَّهَر والعَذَاب ، أو يُسْتَنْزَل دَرّاً وهذا يعني أمومةَ السماء للأرض .

(هـ) وصف فعل مطر السماء بأهل الأرض ، وهذا الفعل نلحظ فيه الرَّحمة والعَذَاب ، أو قل الرَّغْبة والرَّهْبة ، والعشق والخوف .

فالطيور تُغَرد ثملةً نَشْوى ؛ لكن السِّباع تَغْرق ، والضِّباب تهلك ، والوعول تتساقط صَرْعى . وقد نحس رغبة الشعراء في المطر وخوفهم منه ، فهو رحيم حبيب يُشْفي الكَبِد المَكْلومة ، و يسقي ديار الحبيبة الراحلة ... ، وهو عنيف رهيب يَقْلَعُ و يَمْحَقُ و يُهْلِك و يُدَمِّر .

(و) التركيز على فكرة النار في وصف المطر ، فالبرق مصابيح راهب ، أو كما نَوَّر للعجم أَمْرَهُمْ ، أو كمصباح بانٍ بأهله ، أو كأنَّه الشُّعَل الثاقبة ... وقد نلمح في هذه الفكرة الرغبة في الطُّهر والقَدَاسة .

= الرَّيْط : الملاحف ــ الغانم
اللَّجِب : الجيش الظافر ــ المرباع : ربع الغنيمة ــ غُصُباً : قطعاً ــ
البَدِيّ والكلاب : واديان ــ اعتلجا : اعتركا ــ الأتي : السَّيل ــ الغَرَب : القدح من خشب ــ
دَغْدع : ملأ ــ الحوالب : الأودية ــ الدَّبَاء : القَزَع ــ ازدهته : استخفَّته ــ الرَّيِّق : أول المطر .

مصادر البحث ومراجعه

(١) أحمد الحوفي :
الحياة العربية من الشعر الجاهلي ، دار نهضة مصر بالفجالة ١٩٧٢م .
(٢) الأصمعي ، عبد الملك بن قريب :
الأصمعيات ، تحقيق : عبد السلام هارون ، وأحمد شاكر ، دار المعارف بمصر ١٩٧٦م .
(٣) الأعشى الكبير ، ميمون بن قيس :
الديوان ، تحقيق : محمد محمد حسين ، مكتبة الآداب بالجماميز ، مصر ١٩٥٠م .
(٤) الأعلم الشنتمري :
مختار الشعر الجاهلي ، نشر : مصطفى السقا ، مطبعة البابي الحلبي ، ١٩٤٨م .
(٥) امرؤ القيس بن حجر الكندي (ت ٥٤٠م) :
الديوان ، تحقيق : محمد أبو الفضل ، دار المعارف بمصر ١٩٦٤م .
(٦) أوس بن حجر :
الديوان ، تحقيق : د. محمد يوسف نجم ، دار صادر ، بيروت ١٩٦٧م .
(٧) بشر بن أبي خازم الأسدي (ت ٥٩٠م) :
الديوان تحقيق : د. عزة حسن ، طبعة دمشق ١٩٦٠م .
(٨) التبريزي :
شرح القصائد العشر ، مكتبة صبيح ، القاهرة ١٣٦٧ هـ .
شرح المفضليات ، تحقيق : علي البجاوي ، دار نهضة مصر الطباعة القاهرة ١٩٧٧م .
(٩) ديوان الحماسة ، تعليق : محمد عبد المنعم الخفاجي ، القاهرة ١٩٥٥م .
(١٠) بنو تميم :
شعر بني تميم في العصر الجاهلي ، تحقيق : عبد الحميد المعيني ، نادي القصيم الأدبي ١٩٨٢م .

(١١) الجاحظ :
الحيوان ، تحقيق : عبد السلام هارون ، مطبعة البابي الحلبي ، مصر (دون تاريخ) .
(١٢) الحادرة ، قطبة بن أوس الغطفاني :
الديوان ، تحقيق : د. ناصر الدين الأسد ، دار صادر ، بيروت ١٩٧٣م .
(١٣) حسان بن ثابت الأنصاري (ت ٥٤ هـ)
الديوان ، تحقيق : د. سيد حنفي ، الهيئة المصرية العامة ١٩٧٤م .
(١٤) خفاف بن ندبة السلمي :
شعره ، حققه : د. نوري القيسي ، مطبعة المعارف ، بغداد ١٩٦٨م .
(١٥) الخالديان : أبو بكر محمد (ت ٣٨٠ هـ) وأبو عثمان سعيد (ت ٣٩٠ هـ) :
الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهليين والمخضرمين ، حققه السيد محمد يوسف ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٨ ـ ١٩٦٥م .
(١٦) الخنساء :
شعرها ، تحقيق أكرم البستاني ، دار صادر ، بيروت ١٩٦٣م .
(١٧) أبو دؤاد الإيادي : الديوان ، ضمن كتاب : دراسات في الأدب العربي ، تحقيق غوستاف غرنباوم ، ترجمة : إحسان عباس وآخرين ، مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٥٩م .
(١٨) زهير بن أبي سلمى :
الديوان لأبي العباس ثعلب ، تقديم : أحمد العدوي ، دار الكتب المصرية ١٩٤٤م .
(١٩) سحيم عبد بني الحسحاس الأسدي :
الديوان ، تحقيق : عبد العزيز الميمني ، طبعة دار الكتب المصرية ١٩٦٨م .
(٢٠) سلامة بن جندل التميمي :
الديوان ، تحقيق : د. فخر الدين قباوة ، طبع حلب ١٩٦٩م .
(٢١) سويد بن أبي كاهل اليشكري :
الديوان ، تحقيق شاكر العاشور ، دار الطباعة الحديثة البصرة ١٩٧٢م .

(٢٢)الشمّاخ بن ضرار الذبياني :

الديوان ، تحقيق : صلاح الدين الهادي ، دار المعارف بمصر ١٩٧٧م .

(٢٣)طرفة بن العبد ، عمرو بن عبد البكري :

الديوان بشرح الأعلم الشنتمري ، تحقيق : درية الخطيب ، ولطفي الصقال ، مطبوعات مجمع اللغة العربية دمشق ١٩٧٥م .

(٢٤)الطفيل الغنوي :

الديوان تحقيق : محمد عبد القادر أحمد ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ١٩٦٧م .

(٢٥) عامر بن الطفيل :

الديوان بشرح الأنباري تحقيق كرم البستاني ، دار صادر بيروت ١٩٦٣م .

(٢٦)عبيد بن الأبرص (ت ٦٠٠م) :

الديوان تحقيق د. حسين نصار، مطبعة البابي الحلبي ، القاهرة ١٩٥٧م .

(٢٧)علقمة الفحل :

الديوان بشرح الأعلم الشنتمري ، تحقيق : لطفي الصقال ودرية الخطيب ، دار الكتاب العربي حلب ١٩٦٩م .

(٢٨)عمرو بن شأس الأسدي :

شعره ، جمع وتحقيق : يحيى الجبوري ، طبعة النجف الأشرف ١٩٧٦م .

(٢٩)عمرو بن قميئة :

الديوان ، تحقيق : حسن كامل الصيرفي ، مطابع دار الكتاب العربي ، القاهرة ١٩٦٥م .

(٣٠)عمرو بن معد يكرب الزبيدي :

شعره ، تحقيق : مطاع الطرابيشي ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق ١٩٧٤م .

(٣١)عنترة بن شداد العبسي (ت ٦١٤م) :

الديوان ، تحقيق : محمد سعيد مولوي ، المكتب الاسلامي دمشق ١٩٧٠م والديوان ، تحقيق : عبد المنعم شلبي ، طبعة المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة (دون تاريخ) .

(٣٢)فرانكفورت وآخرين :
ما قبل الفلسفة ، ترجمة : جبرا ابراهيم جبرا ، طبعة مكتبة الحياة ، بغداد ١٩٦٠م .

(٣٣)القزويني ، زكريا بن محمد : آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ، بيروت ١٩٦٠م .

(٣٤)قيس بن الخطيم (ت ٦١٢م) :
الديوان تحقيق : د. ناصر الدين الأسد ، دار صادر بيروت ١٩٦٢م .

(٣٥)لبيد بن ربيعه العامري (ت ٥٤٠م) :
الديوان ، تحقيق : د. إحسان عباس ، وزارة الارشاد ، الكويت ١٩٦٢م .

(٣٦)المثقب العبدي ، عائذ بن محصن (ت ٥٨٧م) :
الديوان ، تحقيق : حسن كامل الصيرفي الشركة المصرية للطباعة والنشر القاهرة ١٩٧١م

(٣٧)محمد نعمان الجارم :
أديان العرب في الجاهلية ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٩٢٣م .

(٣٨)مصطفى ناصف (دكتور) :
قراءة ثانية لشعرنا القديم ، منشورات الجامعة الليبية ، كلية الآداب (دون تاريخ) .

(٣٩)النابغة الذبياني :
الديوان ، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار المعارف بمصر ١٩٧٧م .

(٤٠)نصرت عبد الرحمن (دكتور) :
الصورة الفنية في الشعر الجاهلي ، مكتبة الأقصى ، الاردن ١٩٧٦م .

(٤١)الهذليون :
شرح أشعار الهذليين ، تحقيق : عبد الستار فراج ، القاهرة ١٩٣٧م .

(٤٢)الهَمْدانيون :
شعر هَمْدان وأخبارها ، جمع وتحقيق : د. حسن أبو ياسين ، دار العلوم الرياض ١٩٨٣م .